مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: استماع سياسى

التاريخ : ١٩٧١/٥/١٨

اتجاهات (خاصة)

١٨ مايو ١٩٧١

الاحداث الاخيرة فى الجمهورية العربية المتحدة

كما تراها صحيفة " الموند " الفرنسية

بعددها

الصادر فى ١٥/ ٥

فى اكثر من موضع ، وتحت اكثر من عنوان ، تناولت صحيفة المونسد بعددها الصادر فى ١٥ الجارى ، موضوع الاحداث الاخيرة .

فتحت العناوين : " استقالة تسعة من المسئولين فى الحزب والحكومة : الرئيس السادات يعلن انه مستعد لسحق كل محاولة ضد أمن الشعب المصرى " . استهلت الصحيفة كلامها على هذا النحو : " كان الهدوء يسود القاهرة صباح الجمعة ١٤ مايو حيث لم يلمح احد اية علامة ظاهرة عن الازمة الخطيرة التى تفجرت مساء الخميس . الواقع ان بعثه وزراء وثلاثة من المسئولين ذوى النفوذ فى الاتحاد الاشتراكى العربى وهو الحزب الوحيد المصرى ، وممن كانوا يعتبرون من الناصريين الصادقين (الاورثوذكس) قد استقالوا .. واستطردت الصحيفة الى القول بأن الرئيس نميرى والسيدين جلود والايوبى وصلوا على غير انتظار الى القاهرة حيث " كانوا سيعرضون مساعيهم الحميدة بغرض تسوية الازمة " .

وراح اريك رولو يحلل الاحداث فى مقال طويل بدأه قائلا انها لضربة قوية وجهها الرئيس السادات فى يوم الجمعة هذا ، اذ لا يمكن بغير ذلك تفسير " استقالة مجموعة من رجال بمثل هذه القوة كانوا يمسكون فى ايديهم بالادوات الرئيسية للقيادة فى الدولة المصرية ، فهؤلاء " ماكانوا ليتخلوا عن مناصبهم لولا انهم اجبروا على ذلك . واذ نأخذ فى الحسبان ما كان تحت تصرفهم من وسائل الدفاع والرد ، فانه يمكن التكهن بأولئك الذين استخدموا لاستباق — أو التقليل من — كل مقاومة من جانبهم " . ولابد ان دور الجيش كان عاملا حدد الموقف ، فما من شك انه لم يكن من قبيل الصدفة ان ترأس السيد / السادات يوم الثلاثاء ، اجتماعا ضيقا من القادة العسكريين الرئيسيين " .

اذن ، قرر رئيس الدولة انهاء الهدنة التى عقدت اثر وفاة ناصر بين الشيع المختلفة التى كانت تتنازع حول التركة التى كان هو المستفيد الرئيسى منها . ويعزو الكاتب الى كوسيجين قوله للمسئولين المصريين : " ان مسألة الخلافة مسألة صغيرة نسبيا . الامر الجوهرى هو ان تحافظوا على تماسك النظام فى اللحظة التى تعسكر فيها قوات اجنبية فوق اراضيكم " . وعند الكاتب انهم استمعوا الى النصح اذ ان احدا من المرشحين المحتملين للرئاسة ، وخاصة صبرى وجمعة ، لم يكن فى مركز يسمح له باختيار القوة ، وأقل من ذلك بالظفر . وكان الحل الوسط الذى جرى التوصل اليه هو اختيار السيد / السادات الذى كان يتمتع آنذاك بصفتين ،

فهو أولا لم يخلق خلال حياته السياسية الطويلة عداوات عنيفة ، ربما لانه لم يكن باديا أنه معد لمستقبل استثنائي . ثانيا كان يمكن تقديمه الى الشعب كرمز للاستمرار . واذ لم يكن تسانده اى من " مراكز القوى " فان كلا منها اعتقد انه يستطيع ان يكسبه الى جانب قضيته انتظارا للحلول محله . هذا الحساب لم يأخذ فى اعتباره عاملين لهما وزنهما : المشاعر السياسية للرجل الذى دفعوا به فى صمت الى السلطة باجماع جميل ، ثم القوة الاستثنائية التى تضفيها وظائف رئيس الدولة " فى بلد على درجة عالية من المركزية ، وحيث الاحترام شبه الدينى لسلطة الدولة يشكل سمة من سمات الخلق الوطنى " .

وبرغم كل شئ فالصراع من اجل الخلافة ليس الا جانبا ثانويا من الدراما التى تمثل فى القاهرة . فمنذ الانهيار الذى وقع فى يونيو ١٩٦٧ كانت مصر الناصرية فريسة ازمة راحت تزداد . فالتناقضات الكامنة فى النظام اخذت تتضخم ، ولولا شخصية ناصر القوية ومكانته واهتمامه بالتوازن ومهارته فى المناورة ، لحدث الانفجار بسرعة . وفضلا عن هذا ، كان البعض يتساءلون عما اذا كان " الريس " سوف ينتهى به الامر الى ان يفقد السيطرة على الموقف . والواقع ان مركزه كان لابد ان يضعف كلما ازداد الادراك بعجزه عن تسوية المشكلة الفلسطينية ، بالحرب أو بالسلم .

فغداة وفاته كان يمكن ان نسمع فى القاهرة ، وفى الاوساط المتباينة وليس فقط فى صفوف من كانوا يعادونه ، الملاحظة التالية " لقد احسن الريس اختيار لحظة موته ، انه يختفى قبل العاصفة وربما اينما قبل الطوفان الذى سوف يزحف على وادى النيل " .

واذا كانت جميع الفرق فى المجالات المسئولة بالدولة قد اتفقت على ان " سلما عادلا وشريفا " هو وحده الذى يمحو عار الهزيمة ، فان تيارين كبيرين من الفكر راحا يتبلوران بصدد طريق الوصول الى هذا الهدف . ولتبسيط الامر الى اقصى حد ، يمكن الظن بأن اليسار كان يتجمع حول شعراوى جمعة ، بينما استند اليمين الى السادات ، وعلى حد عبارة كاتب مصرى ، نشبت حرب اهلية منذ ذلك الحين ، فى اشكال مختلفة ، أحد هذه الجدل صحفى اشعل حماس الرأى ، وكان الذى اشعله هو هيكل الذى اختار ان يقف الى جانب الرئيس السادات ويقدم له خدمات سياسية كثيرة .

وعرض الكاتب لمقالات السيد هيكل وخاصة فى المقال الذى دعا فيه الى " تحييد " امريكا ، و" على الفور هبت العاصفة " (وهنا اورد الكاتب الفرنسى لائحة من الاتهامات التى كيلت لهيكل من جانب الصحف. والمجلات التى يسيطر عليها الاتحاد الاشتراكى العربى) .

وأصبح الصراع اكثر مرارة فى مستهل العام الحالى ، بعد رد مصر (٢/١٥) على الاسئلة التى وجهها يارنج ورد الفعل السلبى من جانب حكومة القدس ، فراح خصوم رئيس الدولة يتهمونه بأنه " القى بأوراقه دفعة واحدة " وهذا فتح الطريق امام تنازلات جديدة .

وكانت اجتماعات اللجنة التنفيذية فى آخر فبراير واول مارس عاصفة حيث دار الجدل عما اذا كان يجب مد فترة وقف اطلاق النار او لا يجب مدها ، وظهرت مجموعتان متساويتان فى القوة : وافق اربعة على الابقاء على الهدنة (السادات ، الخافض ، ستينو ، محمود فوزى) وعارض الاربعة الآخرون (صبرى ، ابو النور ، ضياء الدين داود ، شقير) . واختل التوازن لصالح " المتشددين " عندما صرح وزير الدفاع بأن " الجيش نفذ صبره " . وسلم انصار الرئيس ، مقتنعين بأنه لايزال هناك دور من المناورة اوحى به السيد / سامى شرف قريب وزير الدفاع وأحد قادة جماعة " اليسار الناصرى " وحليف وزير الداخلية القوى .

ويقول الكاتب ان الاخير قام برحلة سرية الى الاتحاد السوفيتى ، وراجت شائعات فى القاهرة بان الرئيس السادات استاء جدا من هذه المبادرة فضلا عن كون وزيره عاد ومعه اعتراضات من جانب المسئولين السوفييت الذين ابدوا ملاحظات لجهة ، وليس بدون مرارة ، ان رئيس الدولة اتخذ مبادرات دبلوماسية دون استشارتهم وهو ما يتعارض مع " صلات الصداقة التى توحد البلدين " كما يتعارض مع " اتفاق الجنتلمان " الذى عقد بهذا الشأن مع ناصر .

وتوقعا لما قد يحدث من اختبار للقوة ، جاهد كل من المعسكرين من اجل توسيع قواعده الشعبية . فمنذ البداية تلعب " جماعة السادات " بورقة " الديموقراطية المجددة " والحريات العامة ، وهذه الشعارات تريح " البورجوازية الجديدة " التى تحلم بالغاء سيطرة الدولة على الاقتصاد وهى السيطرة التى بفضلها اثرت هذه البورجوازية . ويطلق رئيس الدولة سراح المسجونين السياسيين (وخاصة الاخوان المسلمين) ، ويمنح المحافظين قدرا معينا من الاستقلال المحلى ، ويعلن انه سينهى نهاية للاجراءات الاستثنائية وسوف يضع دستورا دائما

ولكنه ايضا يلغى نظام الحراسات • ومن هذا الوقت يصبح الرئيس السادات صورة لليبرالية السياسية والاقتصادية فى آن واحد • ويكسب ايضا مشاعر عطف فى الجيش حيث هناك تيار قوى يميل الى الغرب بل ومعاد للاتحاد السوفيتى •

ومقابل هذا تجعل " جماعة جمعة " من نفسها الداعية الى التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، والى " ديموقراطية الشعب " يمارسها الحزب وليس البرلمان ، والى اشتراكية قائمة على الالغاء بلا تراد للملكية الخاصة ، والى اصلاحات اجتماعية واسعة النطاق • وفضلا عن هذا فان السيد / جمعة واصدقاءه السياسيين ارسوا شعبيتهم على المكانة التى اكتسبوها عندما كانوا جزءا من نواة اعوان ناصر الوثيقى الصلة به • والواقع ان هذا الاخير كان يستشيرهم عندما يلزمه ان يتخذ قرارات هامة •

ثم يتساءل الكاتب : هل شعروا انهم من القوة الكافية بحيث يتهمون فى نهاية ابريل الرئيس السادات امام اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية ؟ هل انتقاداتهم للاتحاد الذى عقد فى بنغازى قد تجاوزت حدودها على ما يؤكد البعض ؟ أم انهم بالعكس وقعوا فى الفخ الذى نصبه لهم الرئيس السادات ؟ ومن اين الهجوم المضاد الخاطف الذى سمح له بالتخلص من على صبرى ثم من اصدقاء الاخير السياسيين ؟

ويقول الكاتب ان من الصعب قياس صلابة النصر الذى آل على مايظهر الى رئيس الدولة ومع كل فما من شك ان " قاعدته الشعبية " اتسعت نسبيا بقدر ما جعل نفسه المعبر عن أمانى ليس فقط البورجوازية الليبرالية بل والبيروقراطية و " مديرى " القطاع العام وجزء كبير من الفلاحين (المتعلقين جدا بالملكية الخاصة) ، وعموما كل من " يريدون الخلاص من الحرب " بمساعدة الامريكيين او بدونها •

وبالمقابل فسوف يكون هذا تقليلا من قيمة الوسائل التى كانت (أو لاتزال) تحت تصرف جماعة جمعة " فالحزب له تفرعات عميقة فى السكان وخاصة اهل المدن ويستطيع — اذا لم تكن حركته قد شلت الان — ان يعبئ الجماهير وخاصة من العمال والطلبة • ومن جهة اخرى ، حتى وان كان قادة الجيش الرئيسيون قد ايدوا الرئيس السادات ، وبرغم عمليات التطهير الجارية ، فسوف يكون من الصعب القضاء على الشباك التى غرسها السيد / سامى شرف واستبعاد جميع من يحلفون على اليسار الناصرى ، فى صفوف الضباط الشبان •

ويتنهى الكاتب الى ان نتيجة هذه الصراعات مرتبطة الى حد كبير بتطور النـــــزاع العربى / الاسرائيلى . فالرئيس السادات سوف يضعف من مركزه بالتأكيد اذا وتعين عليـــه من اجل الحصول على السلام ، ان يقبل تقديم تنازلات اقليمية لاسرائيل ـ كما ينسب اليـــه خطأ انه ينوى هذا ونفس الخطر يلاحقه ولو على اجل طويل ، اذا لم يصل الى تسوية . ومن ثم ففى التحليل الاخير يتوقف الكثير على موقف الدول الكبرى من الرئيس السادات . ان فى يد الاتحاد السوفيتى الان ادوات عسكرية وسياسية واقتصادية ومالية . ألن يغريه هذا بمحاولـة استخدامها لمنع مايمكن ان يصبح هزيمة دبلوماسية له ؟ وهل قدمت الولايات المتحدة مـــن جانبها وعودا للسيد / السادات ، وهل هى على استعداد لاستخدام نفوذها كى تثنى موسكو عن التدخل فى الشؤون المصرية ، وان تقدم ـ فضلا عن ذلك ـ اسرائيل بايماءات تنم عـن التوفيق تستطيع ان تدعم مركز رئيس الجمهورية العربية المتحدة ؟